الدور السياسي لمدينة حران في العصر العباسي

(132–380هـ/749–993م)

أ.م.د. عبد الجبار حامد أحمد(*)

م.م. نادية محسن عزيز الفيصل(**)

المقدمة

تعد دراسة منطقة الجزيرة الفراتية من الدراسات الجديرة بالاهتمام، نظراً لما تمتلكه من أهمية سياسية واقتصادية وعلمية فضلاً عن دورها الفاعل في أحداث التاريخ العربي والإسلامي.

وقد تركزت جهود الباحثَيْن على دراسة مدن الجزيرة الفراتية وأحداثها، لبيان أهمية تلك المدن وما قدمته في مختلف الحقب التاريخية.

وبالنظر إلى تلك الأهمية فقد وقع اختيار الباحثين على دراسة إحدى تلك المدن وهي مدينة حران، لإبراز دورها السياسي في حقبة من حقب التاريخ العربي الإسلامي، فجاءت الدراسة موسومة بـ "الدور السياسي لمدينة حران في العصر العباسي 132-380هـ/749-993م".

(*) قسم التاريخ – كلية الآداب / جامعة الموصل.

(**) قسم التاريخ – كلية الآداب / جامعة الموصل.

وترجع ضرورة هذه الدراسة الى ان مدينة حران لم تحظَ بدراسة تفصيلية في الجانب السياسي، علماً أن هذه المدينة تعد من مدن الجزيرة الفراتية التي ازدهرت في العصر العباسي ونالت اهتماماً كبيراً من لدن خلفاء الدولة العباسية.

تناول البحث نظرة تمهيدية عن مدينة حران شملت الموقع والفتح العربي الإسلامي للمدينة ثم أوضاعها في العصر الأموي، كما تناول وضع المدينة السياسي في العصر العباسي من خلال الحديث عن مقاومة العباسيين لأنصار الأمويين ومقاومة ثورات المتمردين، كذلك تطرق البحث إلى علاقة الخلافة العباسية بالطولونيين ثم الحمدانيين في حران في المدة التي تمثل مادة البحث، وانتهى البحث بخاتمة شملت أبرز النتائج التي توصل إليها الباحثان.

تمهيد

تقع مدينة حران في الجزيرة الفراتية(*) وهي قصبة ديار مضر على طريق الموصل الشام وبلاد الروم، وهي بين نهري ديصان وجلاب وهما نهران يمران

(*) الجزيرة الفراتية: هي البلاد الواقعة بين دجلة والفرات، يحدها من الشمال أرمينية وبلاد الروم ومن الغرب بلاد الشام ومن الجنوب العراق، ومن الشرق أذربيجان، ويبدو أن اقتران كلمة الجزيرة بنهر الفرات إنما يرجع إلى هيمنة هذا النهر على الامتداد العام لمعظم سطحها بحيث تشكل شبكة مترابطة من الأنهار المتفرعة، والجزيرة الفراتية تشمل: ديار ربيعة، وديار بكر، وديار مضر. (للتفصيل ينظر: الاصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، (ليدن: 1968)، مطابع دار القلم، 53؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، تصحيح: رينود والبارون ماك كوكين، (باريس: 1840)، دار الطباعة السلطانية، ص274.

بمدينة حران، وفي الوقت الحاضر تقع في تركيا على منابع نهر البليخ أحد روافد الفرات على بعد (440كم) من أروقة (الرها) [1] .

وكلمة حران وردت في النقوش المسمارية باسم (حرانو) بمعنى الطريق التجاري [2]. وسماها الرومان كارهايا [3]. كما أطلق عليها بعض آباء الكنيسة هيلينوس أي (المدينة الوثنية)، أما المسلمين فقد أطلقوا عليها اسم حران[4].

كما ذكر أن اسم حران مشتق من اسم بانيها هاران أخو إبراهيم عليه السلام، وقيل أرّان اسم ملكها ثم عربت الكلمة إلى حران[5].

وقد وصف العديد من الجغرافيين والمؤرخين مدينة حران فقيل: "أنها مدينة قديمة أول مدينة بنيت بعد الطوفان بمئتين وخمس وسبعين سنة" [6]. وهي مدينة الصابئين وبها سدنتهم السبعة عشر، وبها تل عليه مصلى يعظمه الصابئون وينسب إلى إبراهيم خليل الله عليه السلام[7]. وتقع في بقعة يحيط بها جبل

(1) ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، (ليدن: 1889)، إعادة طبعة مكتبة المثنى، ص175؛ وينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، (بيروت: 1957)، دار صادر للطباعة والنشر، 235/2.

(2) فاير، مادة حران، ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، (طهران: 1923)، 354/7.

(3) البيروني، محمد بن أحمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، (ليبزك: 1923)، ص206.

(4) دائرة المعارف الإسلامية، مادة حران، 354/7.

(5) الجواليقي، موهوب بن احمد بن محمد، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1،(د/م: 1969)، مطبعة دار الكتب العلمية، ص171.

(6) التطيلي، بن يامين بن يونة، رحلة بن يامين، ترجمة: عزرا حداد، ط 1، (بغداد: 1945)، المطبعة الشرقية، ص124.

(7) الاصطخري، مسالك الممالك، ص54.

شامخ [8]. ويبلغ طولها اثنان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها سبعة وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وهي الإقليم الرابع[9].

دخلت مدينة حران في ظل الحكم العربي الإسلامي منذ العهود الإسلامية الأولى، فقد تم فتحها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد القائد العربي عياض بن غنم، حيث حررها مع بعض مدن الجزيرة الفراتية، في سنة (19هـ/640م)، عندما قدم عياض بن غنم إلى حران وكان قد صالح أهل الرها على الجزية من قبل فصالحه أهل حران على الجزية ايضاً[10].

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة حران لم تكن بعيدة عن الأحداث السياسية التي كانت تجري في بلاد الشام في العصور الإسلامية، فقد اتخذها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية مركزاً له[11]. وقيل في سبب ذلك أنه كان يريد التقرب من القبائل القيسية التي كانت في حران والذين وقفوا بجانبه عندما كان في صراع مع قبيلتي كلب وقضاعة، وقد قيل أن القبائل القيسية كانت غاضبة على قبيلة كلب لان أم يزيد وأم معاوية كانت كل منهما كلبية فساندتهما قبيلة كلب وقضاعة فانحازت القيسية إلى مروان بن محمد الذي حكم سنة (127هـ/744م) وكان على خلاف مع

(8) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، (بيروت: 1979)، دار مكتبة الحياة، ص204.

(9) الحموي، معجم البلدان، 235/2.

(10) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، راجعة: رضوان محمد رضوان، (بيروت: 1978)، مؤسسة جواد للطباعة، ص178.

(11) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 4، (القاهرة: 1977)، دار المعارف، 312/7؛ وانظر: فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو رويدة، ط 2، (القاهرة: 1968)، مطبعة لجنة التأمين والترجمة والنشر، ص167.

يزيد ومعاوية[12]. وقيل أن سبب اتخاذ مروان بن محمد مدينة حران مركزاً له لأنه نشأ وكبر فيها، أو لان والده كان يقيم فيها ويبدو أنه كان يشعر فيها بالارتياح[13].

وبمجيء العباسيين إلى الحكم تنبهوا الى خطورة منطقة الجزيرة الفراتية ومدنها بما فيها حران التي لعبت دوراً سياسياً كبيراً في العصر العباسي.

الأوضاع السياسية في حران في بداية العصر العباسي

عرف أهل الشام بعامة والحرانيين بخاصة بولائهم للأمويين، حيث كانت بلادهم مركزاٍ للخلافة الأموية، وباعتلائه العباسيين الحكم (132هـ/ 749م)، انتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق، وهذا العمل أفقدهم مكانتهم فضلاً عن الكثير من امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها زمن الأمويين، مما شجع الخلفاء العباسيين على التردد إليها كثيراً، وقد توافرت عدة أسباب لذلك منها:

1. القضاء على الأمويين فيها

واجهت الخلافة العباسية في بداياتها مشاكل وأزمات نتيجة العلاقة بين الأمويين وأهل حران، وترجع هذه العلاقة إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وسكنه بحران، حيث استخلف عليها أبان بن يزيد وهو ابن أخته وزوج ابنته أم عثمان[14]. فأرسل الخليفة أبو العباس السفاح ابن عمه عبد الله بن على إلى حران، ولما علم أبان بن يزيد بقدوم الأخير استسلم ولبس السواد (شعار الدولة العباسية)،

(12) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 312/7

(13) نفسه، 312/7.

(14) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، ط3، (بيروت: 1997)، دار صادر، 354/2.

فأمنه عبد الله وأقره على عمله [15] .بعدما خرج منها مروان بن محمد هو وسائر أهله[16] .

وبوصول عبد الله بن علي باب حران هرب مروان فدخلها عبد الله وهدم قصر مروان الذي يحتوي على خزانته وأمواله، ثم ذهب إلى الدار التي سجن فيها إبراهيم الإمام[*] فهدمها أيضاً[17] .

2. ثورة أهل حران على الخلافة العباسية

تزامنت الأحداث السابقة في حران مع قيام ثورة أبي الورد [**] في الجزيرة الفراتية سنة (133هـ/750م) عندما أعلن خلعه لأبي العباس السفاح ورفع الشعار الأبيض المغاير لشعار الدولة العباسية، حيث انتفض أبو الورد من قنسرين وسار

(15) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: 1960)، دار صادر، 354/2.

(16) ابن كثير، البداية والنهاية، 44/10.

(*) إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب المقتول بحران وكان محمد بن الحنفية هو الإمام بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أوصى بالإمامة إلى إبراهيم، وعندما سجنه الأمويين بحران كتب وصيته إلى أبي العباس السفاح بتأسيس دولة بني العباس ورسم له رسماً أوصاه أن يعمل عليه ولا يتعداه في حالة قتله وفعلاً قتل ووصلت الوصية سراً إلى السفاح. (انظر: المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط4، (بيروت: 1966) دار الأندلس للطباعة، 238/3، 253).

(17) المسعودي، مروج الذهب 245/3.

(**) أبو الورد: مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، من أصحاب مروان بن محمد، كان قائداً من قواده، وله دور بارز في إخماد الثورات التي حدثت ضد مروان بن محمد، (للتفصيل ينظر: فوزي، فاروق عمر، العباسيون الأوائل ط1، (بغداد: 1970) دار الإرشاد للطباعة والنشر، 133/1).

إلى حران بعد علمه بهزيمة مروان بن محمد من حران وسيطرة الخلافة العباسية عليها[18] .

كان عامل السفاح على حران يومذاك موسى بن كعب ومعه ثلاثة آلاف من الجند، فانتفض أهل حران وحاصروا موسى ومن معه، وكان أمرهم مشتتاً ليس عليهم من يجمعهم [19] .حتى أتى اسحق بن مسلم العقيلي أحد الشيوخ المتنفذين في الجزيرة الفراتية وانضم إليه أخوه بكار العقيلي المعروف بعدالة للسلطة العباسية[20]. مما دفع بأبي العباس السفاح إلى إرسال أخيه (أبو جعفر المنصور)، فسار إلى حران لإنقاذ موسى بن كعب عامل السفاح الذي كان محاصراً فيها لمدة شهرين[21].

من جهة أخرى أراد الخليفة السفاح أن يقوي جيش الخلافة فأرسل إلى عبد الله بن علي العباسي، وهو من كبار رجال الدولة العباسية أن يأتي بجيش إضافي إلى الجزيرة الفراتية لملاحقة اسحق بن مسلم الذي ترأس الثورة، وكان اسحق يقول: "في عنقي بيعة فأنا لا ادعها حتى أعلم أن صاحبها مات أو قتل" [22]. أي انه تعهد لمروان بن محمد بالدفاع عنه مادام حياً.

---

(18) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 446/7؛ وينظر: عثمان، فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطينية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، (القاهرة: 1966)، دار الكاتب العربي للطباعة، 133/1.

(19) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، (بيروت: 1979)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 174/3..

(20) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 446/7-447.

(21) اليعقوبي، تاريخ، 354/2؛ وينظر: فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية في العصر العباسي، (بغداد: 1986)، ص51.

(22) اليعقوبي، نفسه، 354/2؛ وينظر: فوزي، الخلافة العباسية، ص51.

استطاع عبد الله بن علي أن يحاصر اسحق بن مسلم، وبعد بلوغ الأخير أن مروان قد قتل، طلب الأمان من أبي العباس فأمنه ومن معه وتم الصلح[23]. وأصبح بينهم تعاون ومودة، وتضامن أهل الجزيرة كلهم مع اسحق بن مسلم وأصبحوا مع الخلافة العباسية بعد أن كانوا ضدها، وأراد أبو العباس من هذا التصرف كسب ود الشيخ بدل قتله كي يوافق سياسة تطلبها الوضع آنذاك للسيطرة على مدينة حران وباقي مدن الجزيرة الفراتية.

3. ثورة عبد الله بن علي وخلعه لأبي جعفر المنصور(137هـ/754م)

شهدت مدينة حران التمرد الذي حصل من قِبَل عبد الله بن علي بن عم المنصور وقائد جنده، فبعدما توفي السفاح وبويع لأبي جعفر المنصور بالخلافة سنة (136هـ/753م)، انصرف عبد الله بن علي بمن معه من الجيوش وبايع لنفسه عند دخوله حران [24]. لأن الأخير كان يطمح أن تكون الخلافة له بعد السفاح [25]. وحاصر مقاتل بن حكيم العكي الذي كان عاملاً على حران أربعين يوماً ودخلها بعدما أعطى الأمان لمقاتل ومن معه[26].

---

(23) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، (بيروت: 1966)، دار بيروت للطباعة، 435/5؛ ينظر: الجومرد، عبد الجبار، داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس، ط 1، (بيروت: 1963)، دار الطليعة، ص132.

(24) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: عبد المنعم داؤود، (بغداد: 1972)، مطبعة النعمان، 190/2.

(25) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر، انساب الإشراف، تحقيق: عبد العزيز الدوري، (بيروت: 1978)، المطبعة الكاثولوكية، ج28، ق106/3-108.

(26) ابن كثير، البداية والنهاية، 62/10.

وعندما علم أبو جعفر المنصور بتمرد عبد الله وجه لقتاله أبا مسلم، وعندما علم عبد الله بقدوم الأخير أقام بحران، فسار أبو مسلم نحوها وجمع له الجنود والسلاح والطعام ومضى سائرا لم يتخلف عنه من القادة أحد[27].

وخشي عبد الله بن علي من قدوم جيش أبي مسلم لكيلا ينظم إليه جيش العراق الذي معه فقتل منهم الكثير، وأراد قتل حميد بن قحطبة[*] بعدما اختلف معه وقرر الأخير الهرب إلى أبي مسلم[28].

وفي سنة (137هـ/754م)، سلك أبو مسلم طريق الشام ونزل في المكان الذي عسكر فيه عبد الله بن علي وردم عيون الماء، ودام القتال بينهم ستة أشهر انتهت بهزيمة عبد الله وانتصار جيش الخلافة[29]. حيث هرب عبد الله إلى أخيه سلمان بن علي في البصرة، فأمر أبو مسلم بالكف عن قتل أتباع عبد الله وأمَّن الناس[30].

وهكذا فشلت ثورة عبد الله ولم تلقَ قبولاً من أهل حران ومدن الجزيرة ويبدو أن سبب رفضهم وعدم تقبلهم لرجل من العباسيين عائد إلى أن عبد الله بن علي من قادة السفاح وهو الذي طارد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وقضى عليه

---

(27) الطبري، الرسل والملوك، 473/7.

(*) حميد بن قحطبة: أحد قادة الخليفة أبو جعفر المنصور، تحولت مواقفه ضد الخلافة العباسية نتيجة وقوفه إلى جانب عبد الله بن علي، توفي سنة (159هـ/ 775م) (ينظر: الزركلي، خير الدين، الإعلام، ط 3، (بيروت: 1970)، مطبعة كوستا توماس، 318/2).

(28) ابن خلدون، تاريخ، 181/3.

(29) الطبري، تاريخ الرسل والملوك،476/7؛ وانظر: حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7، (مصر: 1964)، مطبعة النهضة، 37/2.

(30) ابن الأثير، الكامل، 464/5.

نهائياً لذلك رفضوا أن يقفوا إلى جانبه [31]. وعلى الرغم من ذلك تنبه الخليفة إلى ضرورة التقرب من مدينة حران وباقي مدن الجزيرة الموالين للأمويين وإقامة القواعد العسكرية للسيطرة على التمردات التي تحصل فيها.

4. مقاومة الخوارج والمتمردين في حران

شهدت مدينة حران في العصر العباسي الأول قيام العديد من الثورات والتمردات ولاسيما في زمن الخليفة المأمون، حيث ثار العرب عليه سنة (197هـ/812م) بعد مقتل الخليفة الأمين[32].

حيث ثار نصر بن شبث العقيلي [*] في السنة المذكورة، وأعلن تمرده لأنه كان عربياً رافضاً للتدخل الأجنبي المتمثل بالفرس الذين غلبوا على الخلافة بعد وفاة الخليفة الأمين، وعدت ثورته بمثابة تأييد للقبائل العربية التي وقفت إلى جانبه ضد المأمون، وكان نصر يقول: "إنني من بني العباس وإنما محاربتي إياهم محامات عن العرب لان بني العباس يقدمون عليهم العجم"[33].

---

(31) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 475/8.

(32) الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، (القاهرة: 1967)، دار التحرير، 334/2.

(*) نصر بن شبث العقيلي: من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر، يعود إلى قبيلة عقيل العربية التي تسكن في منطقة الجزيرة الفراتية. (للتفصيل: انظر: مسنكويه، أبو علي احمد بن يعقوب، تجارب الأمم، (ليدن: 1871م)، مطبعة بريل 454/6؛ وينفرد ابن الأثير في تسمية نصر بن سيار بن شبث العقيلي، ()الكامل، 297/6).

(33) الازدي، تاريخ الموصل، 334/2.

لاقت المدينة اضطراباً نسبياً ولاسيما بعد قيام نصر بن شبث بمحاصرة مدينة حران ونهب أموال التجار ثم توجه إلى شمال حلب لمواجهة طاهر بن الحسين (*) =الذي عينه الخليفة المأمون لمقاتلة نصر[34].

وكان أول عمل قام به طاهر بن الحسين سنة (199هـ/814م)، أنه بعث برسالة تهديد إلى نصر لتحطيم معنوياته، إلا أن الأخير كان حازماً في موقفه [35]. واشتبك نصر مع قوات طاهر، وجرت بين الطرفين معارك عنيفة انتهت بانتصار نصر بن شبث على جيش الخلافة [36]. مما أدى إلى طاهر بن الحسين المعركة ورجع إلى بغداد وولي القيادة لولده عبد الله بن طاهر [37]. الذي استمر بمحاربة نصر حيث كان الأخير متفوقاً على جيش الخلافة مما أدى إلى إتباع الخليفة المأمون للأسلوب السلمي والمفاوضات وعدم إراقة الدماء وفي الوقت ذاته شكك الخليفة بأصحاب نصر لإضعاف معنويات الأخير، ولم تثمر المحاولات عن شيء وزاد

(*) طاهر بن الحسين: أبو الطيب بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي بالولاء والملقب بـ ذي اليمينين، ولد بقرية من أعمال مرو سنة (159هـ) حيث كان جده مصعب والياً عليها فنشأ شجاعاً وكان من اكبر أعوان المأمون أول أعماله قيادة الجيوش الخراسانية في حرب الأمين حيث انتصر عليه وأرسله المأمون لحرب نصر بن شبث بعدها استدعاء إلى بغداد وولاء الشرطة ثم ولاء خراسان.(للتفصيل انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: 1977)، دار الثقافة، 517/2-518).

(34) اليعقوبي، تاريخ، 455/2؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 528/8.

(35) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 520؛ وينظر: علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، ط 2، (القاهرة: 1959)، مطبعة لجنة التأليف، 223/2.

(36) ابن الأثير، الكامل، 298/6؛ سرور، محمد جمال الدين، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ط2، (القاهرة: 1964)، دار الجيل للطباعة، 228.

(37) اليعقوبي، تاريخ، 455/2؛ ينظر: المعاضيدي، خاشع، تاريخ الدويلات العربية الإسلامية في المشرق والمغرب، ط1، (بغداد: 1979)، مطبعة الحديثي، ص12.

الطرفان تصلباً، وقرر المأمون تشديد الحصار عليه، وبقى عبد الله يحارب نصر أربع سنوات بين (206-210هـ/821-825م) حيث طلب عبد الله بعدها الأمان[38].

أثرت هذه الأحداث على مدينة حران عندما قام بمحاصرتها نصر بن شبث ونهب أموال التجار، فشهدت المدينة صراعاً قوياً بين كل من القوة القبلية المتمثلة بثورة نصر وبيت الخلافة التي أدت بالتالي إلى اهتمام العباسيين بمنطقة الجزيرة الفراتية ومن ضمنها حران وضرورة السيطرة عليها من خلال استقطابها للعديد من الثائرين والمتمردين.

وقد سكتت المصادر عن دور حران السياسي في زمن الخليفة هارون الرشيد الذي تولى الخلافة (170هـ/ 786م)، والخليفة الواثق (227هـ/ 841م) والمتوكل (232هـ/846م) ويبدو أن أسباب ذلك ظهور مدينة الرقة التي اتخذها الرشيد سكناً له وقاعدة عسكرية يطل منها على كل مدن الجزيرة الفراتية وجعلها مركزاً رئيسياً للخلفاء في إدارة الأمور السياسية لبلاد الشام بعامة، ثم بناء أبي جعفر المنصور لمدينة الرافقة بجانب الرقة والتي أصبحت تضاهي بغداد في كل شيء [39]. كذلك كون مدينة حران تعد عاصمة الخلافة الأموية بسبب سكن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فيها [40]. فكان في أهلها ولاء شديد للأمويين مما دفع العباسيين للبحث عن مدينة أخرى في الجزيرة الفراتية لإدارة أعمالها.

---

(38) اليعقوبي، تاريخ، 456/2؛ وينظر: حمادي، محمد جاسم، "ثورة نصر بن شبث العقيلي ضد الخليفة المأمون"، (بغداد: 1981)، مجلة المؤرخ العربي، ع18، ص278.

(39) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط 2، (مصر: 1969)، دار المعارف، ص125.

(40) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 130/8؛ وانظر: الزركلي، خير الدين، الإعلام، ط 3، (بيروت: 1970) مطبعة كوستاتوماس، 137/1.

تلك الأسباب التي ذكرت آنفاً لا تقلل من كون مدينة حران قد لعبت دوراً كبيراً في مجمل الأحداث السياسية التي حدثت في العصر العباسي فيما بعد من خلال عدة مؤشرات منها:

أ ـعلاقة العباسيين بالطولونيين في حران

الطولونيون ينتسبون إلى احمد ابن طولون الذي كان والده ابن طولون مملوكاً تركياً أهدى إلى الخليفة المأمون من عامل بخارى نوح بن أسد سنة (200هـ/ 815م) وأصبح فيما بعد قائداً كبيراً له دور في الأحداث السياسية التي جرت في العصر العباسي آنذاك [41]. هو وولده أحمد الذي ولد بسامراء سنة (220هـ/835م)، وتربى مع الجنود الأتراك، وقد نشأ شجاعاً وتدرج في المناصب وعين والياً على مصر منذ سنة (254هـ/ 868م) من الموفق أخو الخليفة المعتمد الذي حكم سنة (256هـ/ 869م) حيث لم يكن له من أمر الخلافة سوى الاسم، والأمر كله يعود إلى أخيه الموفق الذي كان ينازعه على الخلافه[42]. ومن هنا ظهر الطولونيين على مسرح الأحداث حيث استطاعوا أن يكونوا لهم دولة ويوسعوا نفوذهم[43].

لذلك يمكن القول بأن علاقة الطولونيين بمدينة حران ترجع إلى زمن الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل سنة (256هـ/869م)، الذي لم يكن له من الخلافة سوى

---

(41) البلوي، أبي محمد عبد الله بن محمد المديني، سيرة ابن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، (دمشق: د/ت)، مطبعة الترقي، ص85؛ ينظر: المعاضيدي، تاريخ الدويلات العربية، ص226.

(42) البلوي، سيرة ابن طولون، ص35، ابن الأثير، الكامل، 87/7.

(43) ابن خلدون، تاريخ، 636/4.

الاسم؛ لان أخاه الموافق كان ينازعه عليها(44). وأثناء ولاية أحمد ابن طولون على مصر كان يمد الخليفة المعتمد ويؤازره ضد أخيه الموفق (45). ونتيجة لهذه العلاقة استولى أحمد بن طولون على كل الشام والثغور وحلب سنة (264هـ/ 877)، وجاءت وفاة أماجور والي الشام في السنة المذكورة فرصة كبيرة لمد نفوذه حتى أنه لم يعترف بتعيين أماجور الذي عينه الموفق(46). وأحمد ابن طولون كان في مدينة حران في هذا الوقت، وكان من الممكن أن يستمر في مد نفوذه لولا أن بلغه حركة ولده العباس الذي كان قد استخلفه على مصر، حيث أنه عصا والده وأخذ الأموال وهرب إلى برقة(47).

لم يكترث ابن طولون لما فعل ولده وانصرف إلى حفظ أطراف بلاده، وترك بحران عسكراً، وكانت حران لمحمد بن أتامش المعين من الموفق فهزمه هزيمة نكراء رغم شجاعته(48).

لم تقف أحداث ابن طولون مع ابن اتامش في حران عند هذا الحد، فعندما علم موسى بن أتامش بهزيمة أخيه جمع جنوده وسار نحو حران التي عسكر فيها ابن طولون وأعطى القيادة لأحمد بن جيغويه، وقد أقلق الأخير مسير موسى إلى حران، إلى أن أتاه رجل من الأعراب يقال له أبو الأغر الذي فكر بخطة استطاع من خلالها اقتحام معسكر موسى بن أتامش ودخل المعسكر في زي الأعراب، وفك خيول الجند وجعلها تهرب، وكان معه عشرين رجلاً، ففرت الجند وانهزموا

---

(44) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 135/8.

(45) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 475/8.

(46) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 475/8.

(47) ابن خلدون، تاريخ، 303/4.

(48) ابن الأثير، الكامل، 317/7.

وبالتالي أسروا موسى بن أتامش عن طريق الكمين الذي وضعه له أبو الأغر فسيره ابن جيغويه إلى ابن طولون فأسره وكان ذلك سنة (265هـ/878م) (49).

مما سبق يتبين أن مدينة حران شهدت نوعاً من الصراع الذي حدث بين الخلافة العباسية والطولونيين، ولكن على الرغم مما حدث فان العلاقة بينهم كان يسودها الاحترام لأن الطولونيين كانوا يريدون أن يضفوا صفة الشرعية على حكمهم وأصبح موقفهم مؤيداً للخلافة ووقفوا ضد أي حركة توجه ضدهم حتى نهاية حكمهم سنة (292هـ/904م) (50).

ب -علاقة العباسيين بالحمدانيين في حران

بنو حمدان(*) من القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والجزيرة الفراتية واستقرت في وادي الرقة الفسيح طلباً للعيش والخلاص من الصراعات القبلية، وفي بادئ الأمر استطاعوا أن يكسبوا ود الخلافة العباسية والعمل تحت إمرتها في سبيل الوصول إلى المناصب العالية، فكونو لأنفسهم قوة يحاربون بها لحساب الخلافة العباسية(51).

---

(49) البلوي، سيرة بن طولون، ص101.

(50) ابن الأثير، الكامل، 318/7.

(*) ينتسب الحمدانيون إلى جدهم حمدان بن حمدون التغلبي، وهم بطن من بطون تغلب بن وائل العدنانية، أشهر أبناء حمدان أبو الهيجاء الذي أنجب ولدين هما الحسن الملقب بـ (ناصر الدولة) وهو مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل، وعلي الملقب بـ (سيف الدولة) مؤسس الدولة الحمدانية في حلب سنة (293هـ/905م)، وانتهت بسقوط إمارتهم بحلب سنة (392هـ/1001م)، ينظر: السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، (بيروت:1980)، 107/6؛ السامر، فيصل، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، (بغداد: 1970)، مطبعة الإيمان، 403/1.

(51) ابن الأثير، الكامل، 52/8.

وكان أول وجود للحمدانيين في مدينة حران عندما تولاها أبو فراس الحمداني(*) في زمن سيف الدولة الحمداني سنة (351هـ/ 962م)، حيث كان من ألمع شعراء البلاط الحمداني وأقربهم إلى سيف الدولة فهو ابن عمه الذي تربى في ظله، فقد سلمه إلى الفرسان ليعلموه صناعة السيف وخصص له المؤدبين ليعلموه صناعة القلم، وكان يصطحب سيف الدولة في غزواته[52].

فمدينة حران كان حظها كبيراً بولاية أبي فراس الحمداني لها، فقد نهلت من شعره وشجاعته، وبعد توليه حران قام بمواجهة الجيش البيزنطي مع جنوده فأسر وحمل إلى القسطنطينية، فأقام في الأسر أربع سنين حتى فداء سيف الدولة [53]. بعد أن لاقى أشد الآلام النفسية وكاتب سيف الدولة وطلب منه أن يفديه فرفض سيف الدولة مع شدة حبه له لأنه كان يريد أن يجعل الفداء لعامة المسلمين وليس لابن عمه فحسب[54].

شهدت مدينة حران في زمن الحمدانيين عدة صراعات سياسية داخلية وخارجية كان لها تأثيرها على المدينة في العصر العباسي، ففي سنة (352هـ/963م)، حصل فيها ثورة ضد عامل سيف الدولة وهو ابن أخيه هبة الله

(*) وهو أبو سعيد بن حمدان، ولد سنة (320هـ/ 932م) من أم رومية قتله غدراً ابن أخيه ناصر سنة (323هـ/935م)ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 159/1.

(52) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، (القاهرة: 1956) مطبعة السعادة، 27/1.

(53) نفسه، 27/1؛ وينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 158/1.

(54) التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، (بيروت: 1972)، دار صادر، 155/2.

لظلم موظفيه في عامة ديار مضر [55]. فانتهزوا فرصة غيابه عن حران ووجوده في حلب مع عمه سيف الدولة الحمداني فطردوا موظفيه[56].

ولما علم هبة الله بذلك سار إليهم وحاربهم وجرى بينهم قتال دام أكثر من شهرين[57].

علم سيف الدولة بشدة الأمر وأراد أن يعالج الموضوع ونجح بالفعل في ذلك وأجاب الناس إلى ما يريدون فاصطلحوا وفتحوا أبواب المدينة، فهرب العيارون من المدينة خوفاً من هبة الله بعدما كانوا متسلطين عليها ومستغلين غيابه عنها[58].

والعصيان الآنف الذكر يوضح أن سياسة الحمدانيين كانت سياسة شديدة وتعسفية لاسيما إذا علمنا أنه كان قد فرض خراجاً على أهل حران مقداره (320ألف درهم) وقسط المال على أهل البلد وفيهم الملي والذمي والسوقة والنساء والأرامل، وباع أهل المدينة أمتعتهم وحليهم بأسعار رخيصة [59]. هذه السياسة أظهرت سيف الدولة بمظهر البطل وألقت اللوم على القبائل ووصفتها بالعصيان والثورة، بيد أننا لا نستطيع أن نخفي بأن سياسة الحمدانيين المالية والاقتصادية سواء في الشام أم الجزيرة كانت صارمة وقد أثارت حفيظة القبائل العربية.

ومن الأحداث السياسية المهمة والغربية التي حدثت في حران سنة (352هـ/369م) هو استغلال هبة الله بن ناصر الدولة مرض عمه سيف الدولة فقام

(55) مسكويه، تجارب الأمم، 214/2.

(56) مسكويه، نفسه، 214/2.

(57) مسكويه، تجارب الأمم، 214/2.

(58) ابن الأثير، الكامل، 546/8.

(59) مسكويه، تجارب الأمم، 200/2.

بقتل (ابن دنجا) النصراني غلام عمه وزعم هبة الله بأن ابن دنجا قد تعرض لغلام له فغار عليه وقتله لذلك[60]. ثم أفاق سيف الدولة من مرضه، فلما علم هبة الله أن عمه لم يمت، هرب إلى حران وأعلن للناس بعد دخولها بأن عمه قد مات وطلب منهم أن يكونو معه في السلم والحرب، فحلفوا له واستثنوا عمه في اليمين[61].

فلما علم سيف الدولة بقتل غلامه النصراني ابن دنجا وتمرد هبة الله واعتصامه في حران، بعث إلى غلامه (نجا) الذي كان غازياً مع أهل طرسوس في بلاد الروم وأرسله إلى حران لمحاربة هبة الله، وعندما علم الأخير بقدوم (نجا) ترك حران وهرب إلى والده بالموصل، فدخل نجا مدينة حران وأعاد سلطة سيف الدولة فيها بعدما حاسب أهلها وصادرهم على (ألف ألف درهم) فأدوها بخمسة أيام بعد أن باعوا أمتعتهم، لأن أهل حران كانوا من المصدرين للبضائع ولم يكونوا مشترين لها، فاشتراها منهم أعوان نجا وافتقر أهل حران نتيجة لذلك وتركها نجا بغير والٍ فتسلط العيارون على أهلها[62].

هذا يؤكد عدم تعاون الأسرة الحمدانية فيما بينها، مما كان له تأثير على مدينة حران فضلاً عن تأثير الأحداث الآنفة الذكر على أمنها واقتصادها لاسيما وأن غالبية أهلها من التجار مما سبب تدني المستوى المعاشي للحرانيين.

بعد وفاة سيف الدولة الحمداني سنة (356هـ/966م)، جاء بعده ولده أبو المعالي سعد الدولة، ويبدو أن أهل حران لم يكونوا ميالين لسعد الدولة والسبب في

(60) ابن الأثير، الكامل، 8/547-548.

(61) ابن الأثير، نفسه، 8/547-548.

(62) السامر، الدولة الحمدانية، 2/52.

ذلك أن الروم كانوا يصولون ويجولون على الحدود ولا يردهم أحد[63]. فخاب ظنهم به على عكس أيام والده وحروبه مع الروم، فنجد ممانعة أهل حران من دخول سعد الدولة إلى المدينة وبعد إلحاح منه سمحوا لأصحابه بالدخول والتردد بالأقوات مدة يومين فقط[64]. مما يشير إلى عدم شعبية سعد الدولة قياساً لشعبية والده.

استغل أبو تغلب بن ناصر الدولة الحمداني هذه الظروف وعلم برفض أهالي حران أسعد الدولة، فحاصر المدينة ودخلها سلماً سنة (359هـ/969م)، وولى عليها سلامة البرقعيدي[65]. سنة (368هـ/978م)، وفي الوقت ذاته كان سعد الدولة قد أرسل إلى عضد الدولة البويهي ودخل في خدمته، لذلك أرسل الأخير جيشاً بقيادة الطاهر أحمد إلى حران فأخذها بعد معارك عديدة وأخذ الرقة وترك ما فيها لسعد الدولة[66].

جاء هذا التصرف من قبل سعد الدولة بعد علمه بتصرف بكجور أحد غلمان سيف الدولة الذي قوي أمره ودخل المدينة وسيطر عليها بعد فشله مع الفاطميين بمصر[67]. لذلك سار إليه الدولة من حلب بجيش كبير بعد أن جمع القبائل العربية إلى جانبه ووعدهم بالعطاء السخي، فالتقى الجيشان سنة (381هـ/991م)[68]. وكان

(63) نفسه، 61/2.

(64) السامر، الدولة الحمدانية، 61/2.

(65) أبي الفداء، عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، ط1، (مصر د/ ت)، المطبعة الحسينية المصرية، 111/2.

(66) ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، (دمشق: 1978)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج3، ق 38/1.

(67) ابن الأثير، الكامل، 58/9.

(68) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج3، ق 73/1.

نتيجتها هي قتل سعد الدولة لبكجور قرب مدينة بالس [*] وقبض على أهله بعد أن وعدهم بالأمان وصادر جميع أموالهم[69].

مما سبق يتبين أن المدينة شهدت الكثير من الحوادث والمآسي والوضع الاقتصادي المتدهور على أيدي الحمدانيين الذين تناوبوا على حكمها نتيجة للصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة نفسها والذين غلبت عليهم الأطماع الشخصية، وفي الوقت نفسه الصراعات الخارجية ولاسيما حروبهم مع الروم زمن سيف الدولة الحمداني، كذلك تأثرت مدينة حران بالحمدانيين من خلال تأثرها بشخصية سيف الدولة الحمداني التي اتسمت بللمواجهة ضد الروم.

(*) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة على ضفة الفرات الغربية ظلت طيلة حكم العباسيين أحد منازل بني أمية (ينظر: المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، (ليدن: 1906)، مطبعة بريل، ص 154، الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان (بيروت: 1957)، دار صادر للطباعة والنشر، 377/1).

(69) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج3، ق 73/1.

Abstract

The Political Role of Haran in the Abbaside Period (749-993 A.D./132/380 A. H.)

Dr. Abdulljabar H. Ahamed (*)

Nadiya M. Aziz (**)

The city "Haran" is considered one of the well-known cities in the ancient times .It was a wellborn city , deep-rooted in the pre-Islamic ages that is to say in the ancient empires ages. Hence , it emerges the importance of the city "Haran". Its history was affected by empires' cultures that made the city to be within the prime of history.

The city "Haran" was conquered by the Muslim Arabs in 19 A.H. 'In age of caliph Omar Ibn AL-Khatab.

The city "Haran" is an important trade ceter for its geographical position. It is situated at the upper coast of the river Euphrates. In the cuneiform patterns, the city "Haran" was called "Haranu" means "the trading way".

(*) Dept. of History- Colleges of Arts/ University of Mosul.

(**) Dept. of History- Colleges of Arts/ University of Mosul

The city "Haran" was a place for political movements such as AL-Amawyeen proponents resistance, and the dissident of AL-Abbaside caliphate such as Ahal Haran revolution against the earlier said caliphate / similarly Abdullah Ibn Ali's revolution, and resistance of rebels in the city "Haran".

Many dynasties ruled the city "Haran" such as AL-Tolonyeen and AL-Hamdanyeen, so that city had political struggles and disputes among those dynasties that governed the city.

For many struggles and wars especially in AL-Hamdanyeen period, the city was suffering from heavy taxes and living situations.